الحق حق
رضي النـــاس ام غضبوا

كلمة اخرى للتاريخ

بقلم
الأب بولس بهنام السرياني
مدير المدرسة الاكليريكية الافرامية بالموصل

« طبعت بمطبعة الاتحاد الجديدة - الموصل »
١٩٤٩

ܒܝܬ ܡܪܕܘܬܐ
ܕܟܢܫܐ ܡܠܦܢܐ ܐܒܪܗܡ ܢܘܪܐ ܐܘܪܗܝܐ

Ex Libris
Beth Mardutho Library
The Malphono Abrohom Nuro Collection

D-1938

الحق حق
رضي النـــاس ام غضبوا

كلمة اخرى للتاريخ

بقلم
الأب بولس بهنام السرياني
مدير المدرسة الاكليريكية الافرامية بالموصل

« طبعت بمطبعة الاتحاد الجديدة ـ الموصل »
١٩٤٩

تمهيد

حمل الينا البريد نشرة وجهها الينا الأب الخوري اسحق ارملة الموقر تعليقا على كتابنا « خمائل الريحان او ارثوذكسية مار يعقوب السروجي الملفان » الذي نشرناه في تموز الماضي، فاذا به يعيد ما سطره في كتابه «مار يعقوب اسقف سروج الملفان » ولكن كانت كتابته هذه المرة تحمل طابعاً جديداً لم يتعوده سابقا ، فنشكر له ذلك، ونستميحه عذراً عن عدم السكوت هذه المرة ايضاً ، فنطلق هذه الكلمة للحقيقة والتاريخ ، وقد قلنا في مطلعها « الحق حق رضي الناس ام غضبوا » تعليقاً على كلمته « الحق مغضبة » .

ان موضوع ارثوذكسية مار يعقوب السروجي قد أشبعناه درساً وتأييداً في كتابنا (خمائل الريحان) وقد تناولنا البحث من كل الوجهات التى ذكرها الأب ارملة في كتابه السابق وزدنا عليها نظرة الكنيسة السريانية الارثوذكسية الى هذا الملفان ، الأمر الذي لا نجده عند غيرها من فروع السريانية سواء في العصور الغابرة او المتأخرة ، وغايتنا هنا ان ننبه الرأي العام باننا كنا بغنى عن مثل هذه الأبحاث لو لم نره كانه قد أوقف قلمه لملاحقة كنيسة جدوده الأقدمين ومناصبتها العداء ، ثم جاء ليختطف من بين يديها فى وضح النهار هذا القديس الشهير .

وقد ادعى حضرته في ص ١٤ من نشرته هذه ، ان غضبتنا كانت لتصريح

حضرته بان «مار يعقوب أسقف سروج ملفان كبير وولي من أولياء الله تعالى » وهل هذا يغضبنا ، السنا ننادي به على رؤوس الاشهاد ، ولكن الذي اغضبنا هو محاولته « نشل » ملفاننا الكبير من بين أيدينا ، وهذا طبعاً يغضبنا ولا يسعنا السكوت عنه ، وأعاد حضرته الى أذهاننا ثلاث مسائل فقط من كتابه السابق والمغالطات هي عينها ، ولا نرى بداً من اعادتها لننفي ما يريده من نشرته .

(١)

الرسالة الى بولس مطرانه الرها

يبدأ الأب المحترم هذه المسئلة الاولى من بحثه بايراد سلسلة مطارنة الرها معنونة بلفظ «السريان الكاثوليكيين» وهو يعلم حق العلم معنى «الكاثوليكيين» في أزمنة الكنيسه الاولى ومعناها في أيامنا الحاضرة ، وقد بدأ السلسلة من مار أدى احد السبعين ومار اجى حتى يصل بهؤلاء الاساقفة الى سنة ٥٤١ ثم يستطرد قوله « فهؤلاء الاساقفة باجمعهم كانوا ارثوذكسيين كاثوليكيين خاضعين لبطريرك انطاكية الكاثوليكي ومؤيدين تعاليم المجامع والاباء ص٣ »

انها لدعوى لا تخلو من اعتساف وشطط ، وذلك ان عقيدة الكثلكة بالطبيعتين بعد الاتحاد لم تكن عقيدة الكنيسة المسيحية الجامعة لأن القول بالطبيعتين نادى به اولا نسطور بعد سنة ٤٢٨ (١) اما قبل هذا التاريخ فكانت الكنيسة المسيحية كلها تنادي بالطبيعة الواحدة بعد الاتحاد وهذاما أثبته أحد أساقفة الكاثوليك أنفسهم وهو غريغوريوس جرجس شاهين فى كتابه « نهج وسيم في تاريخ الأمة السريانية القديم المطبوع سنة ١٩١١م (٢) وطبعاً كان مطارنة الرها مثل بقية مطارين المسيحية ينادون بهذه العقيدة والشاهد على ذلك عقيدة رابولا الرهاوي أحد المطارين الذين أورد الخصم اسمه بين المطارين «الكاثوليكيين» فانه كان يقر بطبيعة واحدة واقنوم واحد فى المسيح (٣) .

١) كلدو وآثور ٢ ص١٢٩

٢) نهج وسيم ص ١٧ و ١٨

٣) « « ٢ ص١٣٥

وقد نقل اوفربك قوله في رسالته الى اندراوس اسقف سميساط تأييداً لعقيدته وهذا نصه « ان القول بان في المسيح طبيعتين ولا سيما من بعد التجسد يقلقني كثيراً » (١) .

إذن هذه كانت عقيدة جميع مطارنة الرها وشعبها السرياني الارثوذكسي ما عدا بعض المطارين الذين عينوا بعد المجمع الخلقيدوني مثل (فولا) المتذبذب واسقليف وغيرهما (٢) .

ولم يتحفنا حضرته بشيء جديد عن هذه الرسالة غير انه أعاد ما كتبه سابقا بحذافيره تقريبا ، وهذا دحضناه ودفعناه ، ولا حاجة للعودة اليه ، فالرسالة هي للقديس السروجي لا لغيره ، ومضمونها يطابق ما حدثنا به المؤرخون عن نفي فولا وظروفه بدقة ، فليراجع ما كتبناه عنها من أراد التأكيد .

ان أهم اعتراض للاب المحترم في هذا الصدد هو اطراء كاتب الرسالة إيمان فولا مطران الرها وإيمان يسطين الملك ، وطالما قلنا لحضرته ان فولا هذا كان يعتبر عند اساقفة هوفركية الرها وشعبها ارثوذكسيا لا غير بدليل عدم مناداته صراحة بالمجمع الخلقيدوني، اما مدح الكاتب لايمان يسطين فلا يضير ايضا كما صرحنا فى كتابنا الخمائل، لان عودة فولا الى الرها بعد نفي قصير غيرت نظر الكاتب فى عقيدة الملك والبرهان على ذلك انه ينزهه فى رسالته

---

١) اوفربك تاليف مار افرام ص٢٢٣

٢) يعجب الاب المحترم من تصريحنا في «الخمائل» ص٤٠ و ٤١ و ٧٤ بان لفظة قاثوليقي ليست كاثوليكية بالمعنى الذي يقصده، بل (جامعة) وناهيك عن ان الاباء الاقدمين فهموها كما نفهمها نحن ، فان حضرته ايضا ترجمها بنفس اللفظ والمعنى اخذاً عن العلامة مار موسى ابن كيفا » الرئاسة البابوية ص٢٤ »

هذه من عقيدة « عبـدة الانسان » وهم في عرف كتاب السريان عصرئذ مؤيدو آراء نسطور ومعتنقـو مبادىء المجمـع الخلقيدوني كما برهنـا في الخمائل (١) هذا ناهيك عن الاعتبارات السياسية الراهنة آنذاك ، تلك الاعتبارات التي ألجأت الكاتب ان يكون حكيما ، وليس كما ادعى الخصم « مماذقا ومداهنا ومرائيا » لان الحكمة قضت ذلك ، وهل كان رسول الامم بهذه الصفات، يوم مدح الملك اغريباس وعدنفسه سعيداً ليحتج امامه (٢) وحينما وقف في وسط اريوس باغوس ليمدح تدين الآثينيين ويخبرهم عن معبودهم المجهول (٣) .

اما علاقة القديس السروجي مع فولا فكانت علاقة اسقف ارثوذكسي بمطرانه الارثوذكسي ، ولكن لما ظهرت نوايا فولا الخلقيدونية ، ترفـع القديس السروجي من الذهاب اليه، والحادثة مشهورة راجعها في الخمائل (٤).

وقد ادعى حضرته في هامش ص ٧ اننا حذفنا عبارات هذه الرسالة لدواع نعرفها نحن ، فنصرح لحضرته ان تـلك العبارات ليست بذات بال ، ولا تختلف بشيء عما أوردناه ، اما العبارة التي ادعى حضرته انهـا تعني خضوع مار يعقوب لرئيسه المطران فولا وقد حذفناها فلا يؤبه لها، لاننا صرحنا ان القديس السروجي كان خاضعا لفولا حينما كان يحسبه مثله ارثوذكسيا ، ولكن لما شعر بنواياه الخلقيدونية صرمه ، ولم يشخص اليـه كما يؤيد المؤرخون ، وما الفائدة في ذكر هذه العبارات بعد هذا كله ، إلا ان الأب ارملة يريد تبرير ساحته في حذفه العبارات الجوهرية من رسائل

١) الخمائل ص ٣٢ ٢) اعمال ٢٦ : ٢

٣) اعمال ١٧ : ٢٢ ٤) الخمائل ص١١٩ـ١٢٠

كثيرة قلبت معناها كله كما فعل في رسالة مار يعقوب الى لعازر رئيس دير مار باسوس (١) ، نسي السارية في عينه وحاسبنا على القذى الوهمي .

فانت ترى ان الاب المحترم يجهد نفسه في قضية فولا والرسالة اليه ، ويعرض عن بقية الرسائل التي هي اكثر اهمية بالنسبة الى تقرير الايمان الارثوذكسي علما منه بانه لا يقوى على التعرض لتلك الرسائل مرة ثانية بعدما سددنا عليه السبل في ردنا السابق وسرنا انقطاعه .

(٢)

الكلندار السرياني ومار يعقوب

تخيل الأب الوقور بصيصاً من أمل في الكلندار السرياني فكرر ما أتانا به في كتابه ، وذلك اننا بعد أن أشبعنا قضية ورود اسم القديس في الكلندار درساً وتمحيصاً طلع علينا بنغمة جديدة بقوله صفحة ١١ : « ولقد استغربنا جسارة هذا الراهب الذي حاول ان ينقض كلام بطريركه مار اغناطيوس افرام العلامة المغبوط الذي صرح يقول « في أواخر القرن السابع ألف مار يعقوب الرهاوي كلنداراً عاما لأيام السنة باسرها ... وظل دهراً معمولا به ، ثم أضاف اليه بعض المؤلفين كسعيد ابن الصابوني مطران ملطية (١٠٩٥) والراهب القسيس صليبا ابن خيرون الحاحي (١٣٤٠) (٢) وهو من الخصم تهمة باطلة ينقضها انني اقررت في الحمائل ص ١٥٦ و ١٥٧ ما اثبته غبطة سيدنا البطريرك في كتابه وهو أن هذا الكلندار المنسوب الى القديس

١) الحمائل ص٤٦-٤٨

٢) اللؤلؤ المنثور ص ٩٦

يعقوب الرهاوي قد أضيف اليه ملاحق ، ولم أتعمد الاستقاء من ينبوع قداسته العذب ، ونوهت بما أضاف اليه مطران ملطية وابن خيرون ، فأي وجه بقي للاعتراض والرد ؟ واتهامي بالمحاولة المزعومة ، وأنا أعلم انه ليس من السهل تمييز أصل الكلندار مما ألحق به . وقلت ايضاً أن عيد القديس ورد في معظم الكلندارات السريانية بل في اقدمها . ولكن أية نتيجة يستنتج حضرته من هذا لاثبات دعواه ؟ ونضيف الى ما تقدم :

١ـ ان كنيستنا عيدت للقديس يعقوب السروجي منذ عصور قديمة جداً ولا تزال .

٢ـ ان علماءها ألفوا له فرضا يتلى في عيده ، وأقدم نسخه المصونة واكثرها خطت على رقوق ترقى الى صدر المئة الثالثة عشرة .

٣ـ انها باسمه بنت بيعاً واديار اً منذ القرن الثامن في ما نعهد كما أثبتنا.

٤ـ ان مار يعقوب الرهاوي يعتبره قديساً وملفانا ارثوذكسياً كما ورد في رسالته الى القس يوحنا الاثاربي الناسك العمودي (١) وقد نشرنا ذلك في كتابنا (٢)

٥ـ لو كان خلقيدوني المذهب ملكياً « او على رأي الخصم كاثوليكيا » ، لكنت تجد له ذكراً في كلندارات اليونان الملكيين القديمة الضافية الذيول والتي نقل الكثير منها الراهب القس الصعودي يوسف بار كوار في كتابه الفرنسي « الكنيسة البيزنطية من سنة ٥٢٧ حتى سنة ٨٤٧ » المطبوع سنة ١٩٠٥ ، ومما قاله انهم افرطوا جداً في عدد اوليائهم وقديسيهم حتى انهم لم

١) المتحف البريطاني رقم ١٢١٧٢
٢) الحمائل ص ١١٣

يكادوا يستثنون من تلك السلسلة إلا من ندر من قياصرتهم وبطاركتهم القسطنطينيين وأساقفتهم ورؤساء اديارهم ونساكهم (ص ١٢٠ ـ ١٢٤ و ٢٤٠ـ٢٤٢ و ٦٣٢ ـ ٣٣٦)

٦ـ لو كان خلقيدونيا لنوه به ونقل عنه وأعلى شأنه الجدليون البيزنطيون من كتبة المئتين السادسة والسابعة كلئونطيوس البيزنطي وافريم الآمدي وانسطاس الأول البطريرك واولوغيوس الاسكندري ويوحنا من مدينة اسكيثوبليس واوطاخيوس القسطنطيني والشماس جرجس بيسيدس *Pisides* وغيرهم ، ولأفرد له البطريرك فوتيوس في مكتبته مكانا عليا .

هذا وان عقيدة الطبيعتين في المسيح بعد التجسد هي التى ناضل عنها الروم اليونانيون أشد النضال ، فما بال الأب ارملة يتبناها ويكثر اللجاج متحكما في محاولة الصاقها بالقديس المبحوث عنه دون اصحاب القضية الأولين ، واكثرهم طويل النفس فى البحث شديد المرآء ، ألد الحجاج ؟

اما حكاية الراهب بولس بيترس البولندي اذا صح ما اتحفتنا به ونقلته عنه بحروفه من مجلته *Anal. boll.* (عدد تموز سنة ١٩٤٩م) وانه مالأك على زعمك منخرطا فى الامر وشبهك بالسمعاني فى ادعائه القديس المبحوث عنه ، وجاء بالقواذع واللواذع التي تجنى بها على آبائنا وعلمائنا غير متورع فاذا هو خابط جهالات ركب سجيحة رأسه، وقشبنا بعيوب نفسه، مريض القلب ينظر الى السريان بطرف سقيم ، ولا نراه إلا واغر الصدر عليهم لغير ما سبب سوى ان الحسد استوقد ضلوعه والعصبية البغيضة أرهقته ، وهل يقذع ذوي الاحساب الشريفة وصدور العلماء واعيانهم الذين أجمع الراسخون فى العلم على فضلهم ومدحهم ، إلا رجل شرس مأفون الرأي

خبيث اللسان قلد حبله ؟ وينقض مزاعمه انه لو كان السريان غصبوا الروم الملكيين الخلقيدونيين ، القديس السروجي بعد وفاته بسنين مديدة وحرفوا جميع ميامره ورسائله، لكان لزمه يومئذ اصحاب مذهبه المزعومين ونافخوا عنه وأفلتوه من أيدي خصومه ، وخصوصا الملكيون اهل الرها وهم أقرب الناس اليه ومن أعرفهم بفضله . اما انهم تركوه وتراثه الادبي الضخم نهبا للناهبين وصيروه عندهم نسياً منسياً حتى نبغ اليوم هذا البولندي اللداغة الشيخ الاخرق ، فاقبل يحاجش عنه بمثل هذا الكلام السخيف المستهجن بعد الف واربعمائة وكسور من السنين، فقد أبطأ جدا وطال نوم شيطانه ! وللقاريء اللبيب المنصف ان يستنتج ما شاء من هذه الحكاية .

وإنا على كل حال نربأ بك ان تغتر بما قرظك به هذا الفظ ، فانك أحكم من ان تؤثر الوقوع في نخه ، على ان تشتمل عليك شباك علماء مستشرقين كثير عددهم أرسخ منه علماً وأنبه ذكراً وأوفر لباً وأرحب صدراً وأبصر بالسريانية وأعرف بتاريخ رجالها ، وهم لا محالة منكرون عليه وعليك هذه النتيجة ، وثق انه لم يفلج بهذيانه سهمك ، ولن يفوز بخبطه قدحك ، فلا تستمسك منه بحبال الهباء .

ثم لا يغيبن عنك أيها الفاضل أن السمعاني على بسطة علومه ، قد وقع فى مغالط تاريخية صرح بها اهل التحصيل وعنهم أخذت ما ذكرته فى كتابي (١) ومع هذا فانه لما ادعى الرهاوي في المجلد الأول من مكتبته الشرقية ص ٤٦٨ ثم بان له الصواب نقض رأيه فى المجلد الثاني منها ، وكذلك فعل المطران يوسف داود اذ ادعى السروجي فى « مختصر المختصر » (٢)

١) ص ١٢ و ١٣

٢) ص ١٩٦-١٩٨

ثم عدل عن رأيه في « اللمعة الشهية » (١) ، أما حضرتك فمع اقرارك في « رغبة الاحداث » (٢) و « السريان في القطر المصري » (٣) ان السروجي كان فى طليعة المعتقدين بالطبيعة الواحدة، جئت اليوم فى كتابك ونشرتك تنقض ما اثبته في الامس .

وأخيراً أقول : اذا كان الخصم يتهمني بانني حاولت مخالفة رأي غبطة سيدنا البطريرك فى الكلندار ، وهذا باطل ، فماذا يقول حضرته في خروجه الصريح على طاعة نيافة بطريركه السيد الكردينال ، فاستعان بسواه لرفع كتابه الى المقام البابوي ، ألا يدل هذا ايضا على عدم رضى نيافته بهذا الزعم الباطل ، وترفعه عن الجدل العقيم فى حقيقة تاريخية مشهورة ؟

(٣)

عقيدة مار يعقوب

كان الاب الوقور قد عصب بالقديس السروجي عدة عقائد كاثوليكية مستحدثة كالمطهر والانبثاق من الابن ورئاسة البابا الروماني وقد دحضنا ذلك ، فاعرض عنها فى نشرته لانها كانت أقوالا مدفوعة ومردودة ولكنه عاد فالصق به عقيدة الطبيعتين بعد ان خصمناه بادلة فاصلة وحجج قاطعة ، وأبى إلا ان يكرر ما زوقه آنفا وزاد عليه تصريحاً لطيفاً ينقض جميع محاولاته في هذا الصدد وهو قوله ص ١٢ « لا ننكر اننا في استقراءاتنا ميامر مار يعقوب لم نعثر على نص جلي يصرح بطبيعتي مخلصنا يسوع عز شأنه كما فهمته الكنيسة الواحدة الكاثوليكية الرسولية » ولكنه بعد

---

١) مج ٢ ص ٣٨٧ طبعة ثانية ١٨٩٦ ٢) جزء ٢ ص ١١٤-١١٥

٣) ص ١٥

هذا التصريح يعود فيورد أبياتا يفهم هو منها ان الملفان صرح بذلك المعتقد ! أفليس السكوت على نعت هذه الخصلة منه اليق وأولى ؟

ان تصريحه الاول ينقض عليه رأييه الأخيرين ، ينقض الاول لاننا لا نسخ لنا من ميامر الملفان يخالف بعضها بعضاً ، لنحكم بسلامة هذه وتحريف تلك ، ولو استطاع الخصم ذلك لما أحجم عنه ، وناهيك فان الابيات الاولى التي اعتمد عليها حضرته نستطيع نحن ايضا القول بها مطمأنين لانها معتقد كنيستنا لا اكثر ولا أقل ، وقد قلنا له ذلك مثلما قال له الاب بلوج « ان معتقداً بالطبيعة الواحدة التي أيدها سويريوس الكبير لا يقول غير هذا القول » ولو طالع حضرته كتاب التثليث والتجسد للقديس فيلكسينوس المنبجي ، وكتاب فيلوليتس للقديس سويريوس لوجد هذا التعبير عينه عن الاتحاد الطبيعي والاقنومي في المخلص .

وينقض الثاني بان ميامر الملفان تصرح بالطبيعتين ، لانه اذا كان السريان قد حرفوا جميع ميامره في ما زعم ، فكيف سلمت هذه الابيات من التحريف وهي كما يزعم ويتوهم تصرح بخلاف عقيدتهم ؟ ولو كانت هذه الابيات موجودة حقيقة لنشر الاب بولس بيجان ذلك الميمر بحروف كبيرة حمراء بينما تلاعب في بعض الميامر كما نوهت في كتابي ، بل لما صمت عنها الاب ارملة نفسه في كتابه ، ولما أقر انه لم يجد ولا نصاً جلياً في ميامر السروجي يصرح بالطبيعتين .

واخيراً اذا كان السروجي خلقيدونيا كما ادعى حضرته ، فلم اقتصر السريان الارثوذكسيون وحدهم على نسخ ميامره ولم يكتبها الخلقيدونيون ليتركوا للخصم ولبيترس نسخاً صحيحة منها ؟

ونضيف الى ما سبق مما يدعم حجتنا أدلة ثلاثة واضحة أخذاً عن مقال سرياني بليغ للسيد فيلكسينوس يوحنا دولباني مطران ماردين نشره في النشرة السريانية بحلب وهي :

١ـ ان القديس السروجي لازم القديس سويريوس البطريرك الانطاكى مدة من الزمان واليه كتب رسائل ضافية بقيت منها رسالة واحدة أنفذها اليه بيد رجل اسمـه زكي ، وهي مصونة في مصحف في المتحف البريطـاني رقمه ٨٣٨ وهذا يثبت ما أنكره الخصم من عـدم معرفة البطريرك اياه واجازته ملفنته .

٢ـ مدحه القديس برصوم رأس النساك في قصة الناسك القديس دانيال الامدي التى الفها (١) ونظمه ميمراً فى تقريظه :

٣ـ حضوره مجمع نصيبين خارجا عن حدود المملكة الرومانية ، وعلو همته في تأييد المجمع الثالث الافسسي ، هذا فضلا عن مشاركته فى رسامة القديس يوحنا التلي المجاهد الارثوذكسي ، وميامره العديدة في الايمـان وخصوصا ميمره في نقض مذهب الطبيعتين ، وقد نوهنا به فى الحمائل .

ثم ان حضرة الخصم في ص ١١ انتقـد الأب بلوج الدومنكي الذي رد عليه بقوله ان رده بارد وانه يجهل اللغتين السريانية والعربية ، فاقول انا لا أعرف هذا الأب الفاضل ولكن من لا يحسن هاتين اللغتـين او اقله من لا يحرز منهما ما يكفي لفهم كتاب الخصم ومعاني الميامر السريانية ، كيف يقدم على بحث هذه المواضيع وسبر غورها ؟ فلو ان الاب المشار اليه وافق الخصم على آرائه أتراه كان ينزل عنده بهذه المنزلة ، ام انه كان يقرظه باكثر مما

١) راجع كتابي صفحة ١٥٤ .

يستحقه أدبه وعلمه ؟ ثم ما هي غاية الراهب الدومنكي الكاتليكي في نقضه معظم مزاعم خوري كاتليكي مثله قصده خدمة كنيسته الرومانية ، لولا ان الحقائق اللاهوتية والعلمية والتاريخية واللغوية تلزمه كرجل من اصحاب التحصيل بكتابة ما كتب ، واذا كان هذا الفاضل يجهل اللغتين فهل ان الاب بولس بيترس مشايع الخصم يعد من علمائها الراسخين فيهما ؟ وعلى كل فلا بد من وصول رد الاب الخوري الوقور الى حضرته ليرى رأيه فيه ويدافع عن نفسه .

وذكر في ص ١٥ امتعاضه مما قلته في البابا لاون الروماني ، وأظن اني لم آت في هذا بشيء جديد لم يعرفه آباؤنا الاولون ، مع انني لم يكن هدفي ، هذا الرجل المشهور في عصره ، وانما ساق البحث اليه بطبيعة الحال ، ولكن لم لا يدين الخصم نفسه في ما كان يطعن به بعض آبائنا وأحبارنا منتهكا حرماتهم بقوارص ولواسع من الفاظ نابية ونعوت مستهجنة في « زهرته » و « قصاراه » ومقالته « السريان في القطر المصري » وغيرها ، وما شنع به على بعضهم المطران يوسف داود في المقدمة على كتاب المزامير السرياني و « مختصر المختصر » وكتابه « الحجج الراهنة » وغيره مما يستنكره كل عارف ويأباه كل منصف وأديب وينفر منه العدو والصديق ، فضلا عما طاب لذوقه ان ينقله من خبط (بيترس) بل شتائمه الفاضحة .

ثم ألا يريد هذا الشيخ الوقور ان يبحث ليرى من من اكليروس الفرق التي تكتلكت من الروم والارمن والقبط والكلدان ينهج نهجه هذا مع الكنائس الاصلية القديمة التي برحتها ؟ وخصوصا الكلدان الذين لا يذكرون أسلافهم النساطرة إلا باطلاق لفظة « مار » على كل بطرك ومطران من

جدودهم وعلى معظم صلحائهم اولا أدلك يا حضرة الخوري الغيور على ما هو أنفع لك من كل هذا العناء وأوجب عليك وألزم ، وهو أن تقرأ ما فاه به من ألفاظ نارية بطرك روسيا الحالي السيد الكسيوس في مجلس المفاوضة الذي عقده في موسكو في تموز سنة ١٩٤٨م بمناسبة الحفلات التذكارية للمئة الخامسة لاستقلال رئاسة كنيسة روسيا (١٤٤٨ـ١٩٤٨) وذلك في ص ١٦ و ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٣١ و ٢٣ وتناول فيه سياسة السادة بابوات رومية المتأخرين ، وخصوصا البابا الحالي بما شاء من تهم لا يسكت عنها ، وشاركه فيها جاثليق بلاد الكرج وبطريركا سربيا ورومانيا واكسرخوس بلغاريا وغيرهم ،وهم زملاؤكم في مذهب الطبيعتين والمشيئتين والفعلين . ونشر ذلك باللغة الفرنسية في السنة نفسها في عدد خاص من جريدة بطركية موسكو ـ *Jornal du Patriarcat — de Moscou, numero special 1948 — editions du pat. de Moscou* . فتنبري وحينئذ ترى بلسما الكلمة التي قلناها نحن عرضا ، فتنبري للرد عليه والمحاماة عن رؤسائك الأعلين عسى ان تشفي صدوراً ، فينبه لك ذكر في الاوساط الروسية والكرجية والسربية والرومانية والبلغارية ، هو خير لك وأبقى من هذه المنطقة الصغيرة الشرقية الوضيعة التي آن لفضلك في الجدل أن يخرج عنها الى الميدان الاكبر ، عسى أن تجد لفرقتك الضئيل عددها إخوانا وأعوانا .

هذا ولم يخف علينا ما انطوى كلامك عليه من مغمز في قولك : « لم لم يسقفوه وهو في الربيع الخامس عشر او الثاني والعشرين من حياته كما سقفوا غيره » ؟! فمن سقف السريان في عصر القديس السروجي أو بعده في مثل

تلك السن ؟ هل لك أن تورد واحداً فقط ؟ وان كنت تعني ان السريان يسهل عليهم خرق الناموس الكنسي في تحديد السن القانونية ، اذ وجد في أواسط القرن الثاني عشر نفر لا يزيدون عن ثلاثة او اربعة سقفوا بين العشرين والثلاثين من العمر ، واذ سقف العلامة الفرد مار غريغوريوس ابن العبري في العشرين من عمره ، وتجد بين المتأخرين البطريرك هداية الله الذي قلد رتبة المفريانية عام ١٥٩١م وعمره في قول بعضهم ٢٨ سنة وفي رأي غيرهم ١٨ سنة ، فهذا النفر القليل لا يبنى عليه حكم ، وأنت تعلم في أي مجمع وأي عصر حددت بيعة الله الجامعة سن القسوس والاساقفة ، ولا نأتيك بخبر القديس يوحنا الانجيلي الرسول الذي اجمع المؤرخون على انه حين رفعه ربنا جل ثناؤه الى اسمى درجات الكهنوت ورتبه ، لم يزد عمره على اثنتين وعشرين سنة .

أما نحن فلا نريد أن نجبهك بما أنا وأنت في غنى عن الخوض فيه وتشويش اذهان القرآء اذ نورد لك من تاريخ السادة بابوات الكرسي الروماني وكرادلة اللاتين واساقفتهم من تولوا الدرجات في السنة العاشرة والثانية عشرة والسادسة عشرة والثامنة عشرة والعشرين من اعمارهم ، وما ادراك انهم اختاروا القديس يعقوب لهذه الدرجة السامية في كهولته فكان يأبى شأن امثاله الكثر الزاهدين في ابهة الرتب العليا ، مفضلا خدمة الكنيسة في درجة الكهنوت وزيارة الأديار ، ثم انهم أعادوا عليه الكرة في الاختيار وقد بلغ الثامنة والستين من عمره ، فطاوعهم خدمة للكنيسة أبان محنتها ؟ وكم من احبار فضلاء سقفوا في أواخر اعمارهم ، وهل كانت الاسقفية شرطاً لينالها كل فاضل ونابغ ، ورجال الكهنوت والرهبان

عصرئذ يعدون في بيعة الله بعشرات الالوف ان لم نقل بمئات الألوف ، هذا ان لم نسألك أنت لماذا لم يسقفك اصحابك وقد بلغت التاسعة والستين بعدما نافحت عنهم حياتك كلها بالحق والباطل ، وبعد فاي دليل يحصل من هذا الاعتراض ؟ وكذلك المغمز الثاني بقولك ان السريان يستقبلون عيد العذراء بمثل ذلك البيت الركيك الذي نقلته من مدراش بوزن ܡܫܝܚܐ ܘܡܫܝܚܐ ومضمونه « ان الزيف خرج من اشياع نسطور وقبله لاون » فلم أورده كبرهان للفصاحة السريانية بل لتأييد حقيقة تاريخية ، واذا كان فيه شيء من الركاكة على زعمك ، فذلك لا يقدح بجلال الطقس السرياني ، وهو على ندورته عندنا لا يخلو طقس من الطقوس من مثله ، ولكن أسألك ألم تخالف صميم ضميرك في تجنيك هذا على السريان الذين لا يشق لهم غبار في نظم طقوسهم وفصاحتها ؟ اوكانت بعض الحسايات التي نقلتموها عن بعض كتبة اللاتين في طقسكم فصيحة ، ام انها رقعة بادية الركاكة والتفاهة في حلة ذلك الطقس البديع الذي استعرتموه من فحول هؤلاء السريان ، وقد ساقك اليوم الهوى الى الافتراء عليهم ؟

اما حكاية « الصول (١) » السخيفة التي طاب لك ايرادها ص ١٥ ـ ١٦ كانها حدث تاريخي عن رجل علماني ، فقد نقلتها عن كتاب « عناية الرحمان » الذي حشاه ملفقه بالترهات فنقضها عليه احد اصحابكم المطران غريغوريوس جرجس شاهين في كتابه « كشف الأنقبة عن وجوه المؤرخين الكذبة » ص ٣ ، كان الافضل لك لو ترفعت عن ايرادها (٢) .

١) الصول بلهجة ماردين الحذاء

٢) راجع عن الصول البابوي تاريخ الانشقاق للمطران جراسيموس مسرة ج٣ ص ٤٠٤ حاشية و « الذكرى الخالدة » بقلم مطران كاتوليكي ص ٢٥ و ٣٢ طبعة بغداد سنة ١٩٣٦

خاتمة

ثم انك ايها الشيخ الفاضل ان وقع في كلامنا معك في اثناء هذا البحث الطويل لفظة او عبارة تصف حجة لك بالوهن ، او اننا دفعنا لك قولا مردوداً هو ضرب من التخرص ، او قرعناك بحق واستنتجنا من ذلك ان في ما جئت به مغالطة او مكابرة وما اليه مما يقتضيه سياق الكلام ، طلعت علينا متشكيا متألما ، وان تعمدنا مناقشتك بكلام عذب رقيق ربما رأيت فيه ضعفا في الحجة ، ولو سكتنا عن كل ما تدعيه وتطمح اليه وتبني ماتبني عليه ، لاتخذت من ذلك ما يزيدك جريا في طريق شائكة من المغالطات قد يتطوح فيها السليم الساذج او يتبجح بها المغرض من ذويك ، فيتوهم انه الانقطاع والابلاس !

واشهد انك ايها الوقور لا تقصد من ابحاثك وكتاباتك ، لا حقيقة لاهوتية ولا تاريخية، وانما تهدف الى ما لا نصرح لك به لئلا تتهمنابالتجني ولكننا نلمح اليه تلميحا ، وذلك هدف ما وصلت ولن تصل اليه مهما تقلبت في اصناف التآليف وتفننت في شتى التعابير ، اذ قد فات زمانه ومضى أوانه وقعد عنه اعوانه .

نخير لك عافاك الله ان تدعنا وشأننا ، ولا تعكر بما تكتبه ونكتبه صفواً وموادعة اجتماعية بيننا وبينكم ، متيقنا في دخيلة نفسك انك انت البادي، والمعارض والمناقش والمجادل والمحرك لما كان ساكنا ،

خلاصة هذه الكلمة

ان الخوري اسحق ارملة الوقور ما وسعه ولن يسعه ان ينقض حجة واحدة مما أثبتنا به حقيقة ارثوذكسية قديسنا الملفان السروجي ولم يأتنا بشيء جديد وانما هو طرف من تكرار ممل - وهو على اضطلاعه من السريانية وعلو سنه اذ قد ناهز السبعين من العمر، كان أولى به ان يدع خططه القديمة في مناهضته السريان الارثوذكسيين الذين يدعي محبتهم !... بينما هو يكتب ما تشاء اغراضه عن بطاركتهم وعلمائهم ولا يتشبث معانداً بمواضيع لا تثبت على النقد ولا يتابعه فيها بصير، بل قلما يجد من يعبأ بها من السريان الارثوذكسيين او يدركها من المتكثلكين، وقد مال بهم العصر الى اتجاه بعيد جداً منها . واذا وجدت فئة يطيب لها هذا البحث فان جهلها اللغة السريانية يحول دون وقوفها على المصادر السريانية - وكان الأجدر به ان يدع السريان وقديسيهم وشأنهم ويشغل قلمه في ما ينفع اتباعه من الوجهتين الادبية والاخلاقية اذ يتعذر عليه وعلينا ان نبعث في صدور الناس شوقا صادقا لدرس لغتهم الشريفة ليفحصوا تراث السلف الصالح في مصادره، ويقفوا على الحقائق في مواطنها عفواً دون نقل او تأويل او تلخيص او تحريف.

وان شاء ان يزجي وقته بكتابة قصص بعض أولياء اللاتين وصلحائهم كيوحنا بسكو الذي نشر قصته عام ١٩٤٨ وغيرها فلعله يجد من يقرأ ما يكتب وينتفع به كما انه ايضا لا يعدم من ذلك نفعا، وان جارى زميله الكاتب الاب القس بطرس سابا الذي نقل من الافرنسية الى السريانية كتاب (وقائع تيليماك) او تأليف بعض المعاجم السريانية كما قام به الاب الوقور القس ميخائيل مراد، لأحسن عملا ووجد من ينتفع بدراسته من فرق السريان جميعا، والسلام.

خلاصة هذه الكلمة

ان الخوري اسحق ارملة الوقور ما وسعه ولن يسعه ان ينقض حجة واحدة مما أثبتنا به حقيقة ارثوذكسية قديسنا الملفان السروجي ولم يأتنا بشيء جديد وانما هو طرف من تكرار ممل - وهو على اضطلاعه من السريانية وعلو سنه اذ قد ناهز السبعين من العمر، كان أولى به ان يدع خططه القديمة في مناهضته السريان الارثوذكسيين الذين يدعي محبتهم !... بينما هو يكتب ما تشاء اغراضه عن بطاركتهم وعلمائهم ولا يتشبث معانداً بمواضيع لا تثبت على النقد ولا يتابعه فيها بصير، بل قلما يجد من يعبأ بها من السريان الارثوذكسيين او يدركها من المتكثلكين، وقد مال بهم العصر الى اتجاه بعيد جداً منها. واذا وجدت فئة يطيب لها هذا البحث فان جهلها اللغة السريانية يحول دون وقوفها على المصادر السريانية - وكان الأجدر به ان يدع السريان وقديسيهم وشأنهم ويشغل قلمه في ما ينفع اتباعه من الوجهتين الادبية والاخلاقية اذ يتعذر عليه وعلينا ان نبعث في صدور الناس شوقا صادقا لدرس لغتهم الشريفة ليفحصوا تراث السلف الصالح في مصادره، ويقفوا على الحقائق في مواطنها عفواً دون نقل او تأويل او تلخيص او تحريف.

وان شاء ان يزجي وقته بكتابة قصص بعض أولياء اللاتين وصلحائهم كيوحنا بسكو الذي نشر قصته عام ١٩٤٨ وغيرها فلعله يجد من يقرأ ما يكتب وينتفع به كما انه ايضا لا يعدم من ذلك نفعا، وان جارى زميله الكاتب الاب القس بطرس سابا الذي نقل من الافرنسية الى السريانية كتاب (وقائع تيليماك) او تأليف بعض المعاجم السريانية كما قام به الاب الوقور القس ميخائيل مراد، لأحسن عملا ووجد من ينتفع بدراسته من فرق السريان جميعا، والسلام.

ܒܝܬ ܐܘ̈ܨܪܐ ܕܟܬܒܬ ܡܪܕܘܬܐ
Syriac Literature: Jacob of Serug
Beth Mardutho Library